

بقلم الدكتور ناجي م. قزيلي\*

## لبنان في الكرسي الرسولي: مستقبل العالم الآتي له يقول البابا فرنسيس: قم!



كيف للبنانيين ان ينسوا ذاك الكلام الذي قاله البابا بيوس الثاني عشر، في 17 اذار من العام 1947، في اثناء تدشين العلاقات الدبلوماسية بين اول بلد شرق - اوسطي وعربي والكرسي الرسولي، مع تقديم اوراق اعتماد اول وزير مفوض لدى الفاتيكان السفير شارل حلو؟ يوماً، قال البابا، والعالم خارج من احوال الحرب العالمية الثانية، للبنان المستقل للتو: "ان وطنكم، الشبيه، بالنظر الى تعددية مكوناته اللاتنية واللغوية، بالنسر ذي الاجنحة المزدانة بالف لون الذي راه حزقيال هايمًا فوق لبنان (حزقيال 17، 3)، مدعو انطلاقًا من دعوته الفريدة الى تحقيق وحدة الاخوة الحياتية الهائلة، لاسيما بين ابناء مختلفين من حيث المصدر والفكر. والمثال الاغلى لشعور اخوي كهذا، متلائم حتما مع الخير العام للجميع، يرتدي وسط اضطرابات الشرق الاوسط، معنى نبيلًا يحتذى".

تلك قناعة الكرسي الرسولي تجاه لبنان انطلقت، في العصر الحديث، مع البابا بنديكتوس الخامس عشر يوم وقع صيف العام 1920 على خارطة لبنان الكبير، اسابيع عدة قبيل الاعلان الرسمي لقيامه في الاول من ايلول، وارساها خلفاؤه، ولما يزل صداها يتردد مع احبار اعظمين احبوا لبنان، وقد زاره معظمهم، اذ رأوا فيه "مستقبل العالم الآتي"، الطالع من ازمان ما شهدت البشرية تسارعها وعميق ذيولها منذ فجر التاريخ. ازمان قضت على قناعات، ونقضت اساسا قامت عليها حضارات واينعت ثقافات.

هو الانسان كان محرکها الاول فغدا ضحيتها الاكبر: هذا بنى لنفسه عقائد قومية، وذاك استشرس في تيارات الحادية. هذا نما في عصمة تفوقية، وذاك انتشى في بدع فكرية. هذا توسع في الغائيات للفرادة، وذاك هيمن بالادعية على مدلولات التميز.

وحده لبنان بقي بكلية جامعا لاطلالات من سماء، وشوق الى معية تتحقق على الرغم من الصعاب، شاهدا على رعاية وحدة انسانية دفع ابناؤه، من مختلف انتماءاتهم، الثمن الغالي من دمائهم للحفاظ عليها.

هو هذا الوطن، الصغير مساحة، ينظر اليه الكرسي الرسولي لا على انه مختبر، اذ ان الخيارات البشرية ليست مادة لتجارب، بل ملتمى الغنى الذي تكتنزه الكيانية البشرية، وهي هبة من عند الله: ملتمى يعطي كل المعنى للانسان، كل انسان وكل الانسان. ومن دونه الغاء لله وللانسان على حد سواء.

هذا التكامل بين الانسان وذاتيته، وبينه وبين الاخر المختلف عنه، استنادا الى الطبيعة البشرية الجامعة، وبينه وبين ارضه، وبينهما وبين الله، هي التي يعتبرها الكرسي الرسولي: رسالة لبنان.

وقد غالى الاحبار الاعظمون المعاصرون، جميعهم، في ابرازها واعلاء

وها خليفته، البابا المستقيل بنديكتوس السادس عشر يزور لبنان، بدوره، بعدما كان وصفه امام رئيس الجمهورية السابق العماد ميشال سليمان بـ "قلب العالم وعقله"، ويوقع فيه ارشاده الرسولي: "الكنيسة في الشرق"، فيما الشرق باسره واقع ضحية التطرف الديني والتقاتل والتناوب بين الواحد والاخر الى حد اللغائيات الدموية باسم الدين والمغالاة في شذوذ التدين.

ومع انتخابه، خشي اللبنانيون ان لا يعبرهم البابا فرنسيس الاهتمام عينه، هو الاي من الجهة الاخرى للعالم. لكنهم سرعان ما خبروا فيه، ذاك الذي يحب وطنهم لا لانهم فيه ضحايا تجارب عسكرية كانوا ادوات اوهاهما وفي خدمة غطرسات تخيلاتهما فحسب، بل لانهم اليوم اسرى ازمان متشابكة جعلت منهم، وهم رواد حضارة الحياة، نماذج حية لشعب مسروق في لقمة عيشه وجنى عمره، مذل في ابسط مبررات استمراريته، ومسحوق في ابرز مقومات صموده. وقد غدا شريدا في ارضه، اثر اضخم انفجار دمر عاصمته بما فيها من ارث حضاري وانساني، بعدما تم اغراقه بالعدد الاكبر من النازحين السوريين قبلهم للاجئين الفلسطينيين نتيجة الحروب في المنطقة وعليها.

هو لبنان الوجود في خطر فقدان لا حضوره فحسب، بل اكثر: هويته وتاليا ضرورة فعله في العالم.

كيف للبنان ان يترك وحيدا في مصارعة ما بدا كأنه حتمية قدره؟ والاشد ايلاما، كيف لمسؤوليه الزميين والروحيين ان يتقاعسوا، متخبطين في مصالحهم الخاصة، عن الاقدام على تكريس ذاتهم لانقاذها؟ هي الاسئلة التي هزت صميم البابا فرنسيس، هو الباني جسور الاخوة البشرية، وقد كرس لها وثيقة وقعها مع سماحة شيخ الازهر الشريف، في دولة الامارات (4 شباط 2019)، وجعل مضمونها ضمانا ثمار زيارته التاريخية الى العراق (اذار 2021)، مستلهما في المرتين لبنان نموذجا.



فكانت لذلك صرخات ثلاث له: - "اعزائي الرعاة، اساقفة، وكهنة، ومكرسين، ومكرسات، وعلمانيين، ثابروا في مرافقة المؤمنين. اطلب منكم... الفقر، من دون اي ترف، بل الفقر، مع شعبكم الذي يتألم... ساعدوا مؤمنكم وشعبكم على النهوض وعلى ان يكونوا ابطال ولادة جديدة؛ التزموا جميعا العمل على تحقيق التوافق والتجديد باسم المصلحة المشتركة، وثقافة اللقاء الحقيقية، والعيش المشترك والسلام والاخوة... وعسى ان يكون هذا التوافق تجديدا ضمن المصلحة المشتركة. فعلى هذا الاساس، يمكن ضمان استمرارية الوجود المسيحي ومساهمتم القيمة للبلد والعالم العربي والمنطقة باسرها، بروح من الاخوة بين جميع الطوائف الموجودة في لبنان. (نداء من اجل لبنان 2 ايلول 2020).

- "كل من في يده السلطة، فليضع نفسه نهائيا وبشكل قاطع في خدمة السلام، لا في خدمة مصالحه الخاصة. كفى ان يبحث عدد قليل من الناس عن منفعة انانية على حساب الكثيرين! كفى ان تسيطر انصاف الحقائق على امال الناس... كفى استخدام لبنان والشرق الاوسط لمصالح ومكاسب خارجية! يجب اعطاء اللبنانيين الفرصة ليكونوا بناة مستقبل افضل، على ارضهم وبدون تدخلات لا تجوز". (لقاء صلاة من اجل لبنان 1 تموز 2021).

- الى الشعب اللبناني العزيز، الواقع في ازمة اقتصادية وسياسية، وهو يسعى جاهدا لوجود حل لها، اريد اليوم ان اجدد تأكيد قربي منه وصلاتي من اجله، واثمن ان تساعد الاصلاحات اللازمة ودعم المجتمع الدولي لكي يبقى هذا البلد ثابتا في هويته وبقائه نموذجا للعيش السلمي معا والاخوة بين مختلف الاديان فيه". (خطاب امام السلك الدبلوماسي 10 كانون الثاني 2022).

قلت: صرخات! بها ينبذ كل فكر مناقض لحق وطن بالوجود والحضور والفعل، ليعود عشير الحياة التي اعلاها كيانا يستحق الدفاع عنه، سكناه في الحق، وقد انبعث من جديد في النور واليه، فعاد الوطن - العمق الذي به يصير العالم جديدا وقد استحق معناه، في القلوب كما في العقول. وطن ناهض اقوى في الايمان به، في كنفه يفتعل عدل الاي من الايام، في امتلاك الحرية وسلام الحق.

وما هو بذلك وطن الارتجال ولا التغرب حد الارتحال، بل ذاك الطالع من لدن اقصى الاختبارات، وندرته على اي ارض، فما كان خطأ، بل موسعا حدود الانتصار على الموت حتى ابعد آفاق الحياة.

فهل من سميع؟

ها الحبر الاعظم يقف امام لبنان - الثمر الاي وهو اليه، وها لبنان لما يزل واقفا شهادة للانسان القائم في حاضر قاس، يتلقى الضربات من داخل وخارج. لكن، له يقول البابا: قم للاجيال القادمة! قم لحقيقة الانسان! قم لغلو القيامة!

\* خبير في شؤون الكرسي الرسولي